مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد 05 / العـدد: 01 (2021)
ص 554-580

تحليل المسلك البنائي في "كتاب إحدى جواري المأمون إليه" في ضوء نظرية المسالك والغايات

Constructive approach analysis. In one of Al-Ma'mun servants' book considering Approaches and Purposes theory

الباحث (ة)	مؤسسة الانتماء	البريد الالكتروني
مريم علي الفيحاني Mariam Ali Alfaihani	جامعة قطر	ma1105589@qu.edu.qa

ملخص:

تحمل الخطابات المختلفة في طياتها معانٍ جمة، لا يمكن الكشف عنها كلها بقراءة الخطاب فحسب، بل وجب التعمق فيه وتحليله باستخدام الأدوات العلمية والنظريات الحديثة لتحليل الخطاب، تهدف هذه المقالة البحثية إلى تحليل إحدى الخطابات التي قلما يتناولها الباحثون بالنظر والتحليل، وهي خطاب إحدى جواري المأمون إليه، استعانة بنظرية المسالك والغايات، وسيحلل في الخطاب مسلكه البنائي بغية معرفة إذا ما كانت القدرات اللغوية لمنتجة الخطاب ساعدت في تحقيق غايتها منه، وتستلزم نظرية المسالك والغايات النظر في مرجعيات الخطاب التي تؤثر على انتاجه وتحليله، فسيُنظر في إحداها وهي المرجعية التخاطبية، مروراً بالمسالك البنائية المكونة من شقين وهما المسلك النظمي المرتبط بتراكيب الجمل، والمسلك التأليفي المرتبط بهيكلة الخطاب كله، وأخيراً ستُختتم المقالة بالنظر في الغاية والغرض والمقصد من الخطاب، يُفترض أن منتجة الخطاب استطاعت تطويع اللغة وأدواتها المختلفة حتى تحقق الغاية من الخطاب.

كلمات مفتاحية: تحليل الخطاب.،نظرية المسالك والغايات.،المسلك البنائي.،المأمون.،جارية.،العصر العباسي.

Abstract:

different speeches can carry many meanings. Not all of them can be revealed by just reading the discourse. Rather, it must be delved into and analyzed using

practical tools. And modern theories of discourse analysis. This research article aims to analyze seldom deal with consideration and analysis. It is the letter of one of Al-Ma'mun servants the theory of Approaches and Purposes. And will be analyze her structural behavior in the speech to know. Weather the language abilities produced speech helped achieve her goal from him, the theory of Approaches and Purposes consider the references of the speech that influence-influence its production and analysis.. Finally, we conclude the article by looking at the purpose, purpose, and intention, from speech, it is assumed that the producer of the speech was able to adapt the language and its various tools until the purpose of speech achieved.

Key words: Analysis speech;The theory of Approach and purposes;structural path; Al-Ma'mun;discourse

1. مقدمة:

اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالخطاب وذلك انطلاقاً من خلفيات معرفية مختلفة، وعلماء العرب قديماً قد أنشأوا علوماً تعنى بدراسة الخطاب، وذلك انطلاقاً من رغبتهم في فهم القرآن ودراسته والحفاظ عليه، منها علوم البلاغة والبيان، أما في العصر الحديث أصبحت هناك دراسات لغوية وأسلوبية تتناول الخطاب بدراسة لغته المستعملة كالدراسات التداولية، أو الأسلوبية، أو السياقية، ودراسات أخرى عنيت بالنظر في مقاصد الخطابات وغاياتها والأدوات التي استخدمت لتحقيق تلك الغايات، ووضعت هذه الدراسات تحت عنوان (تحليل الخطاب).

عظمت أهمية تحليل الخطاب في العصر الحديث وحاول العلماء إيجاد نظريات لتفسير غايات المتكلم من خطابه وبيان أسلوبه ومسلكه في تحقيق مقصده من الخطاب، وظهرت نظرية " المسالك والغايات" التي تعنى بهذا الأمر، وقد اخترتها لتحليل خطاب من كتاب (جمهرة رسائل العرب)، وهو خطاب لجارية من جواري الخليفة المأمون إليه، ولما كان تحليل الخطاب يفيد تخصصات وحقول عدة ولما كان للخطاب من أبعاد اجتماعية وسياسية وتاريخية وغيرها فإن اختيار تحليل خطاب جارية المأمون إليه يكشف جزءاً من طبيعة الحياة الاجتماعية؛ وذلك بالاطلاع على حياة الجواري والنظر في حدود كلامهم مع

أمير المؤمنين وطبيعة علاقتهم به، كما يبين طبيعة لغتهم التي تكشف عن وعيهم ومستوى ثقافتهم وذلك من خلال النموذج المختار، وسأحاول استخراج المسلك البنائي الذي اتُخِذ لبلوغ الغاية من ذلك الخطاب، ولتحليل الخطاب وفقاً لنظرية "المسالك والغايات" لابد من الوقوف على مرجعيته، مما يساعد على فهم الغرض والغاية.

2. الجانب النظري

يستلزم تحليل أي خطاب الاستناد إلى نظرية ومنهجية خاصة تساعد على بلوغ الهدف المنشود، وفي هذا البحث سيستعان بنظرية المسالك والغايات، وتستلزم هذه النظرية النظر في مرجعيات الخطاب المختلفة، والنظر في المسالك التي اتخذتها منتجة الخطاب لتحقيق غاياتها ومقاصدها منه.

1.2 النص

"وأهدت جارية من جواري المأمون تفاحة له، وكتبت إليه:

إني يا أمير المؤمنين لما رأيت تنافس الرعية في الهدايا إليك، وتواتر ألطافهم عليك، فكرت في هدية تخف مؤنتها، وتهون كلفتها، ويعظم خطرها، ويجل موقعها، فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت، ويكمل فيه هذا الوصف، إلا التفاح، فأهديت إليك منها واحدة في العدد، كثيرة في التقرب، وأحببت يا أمير المؤمنين أن أعرب لك عن فضلها، وأكشف لك عن محاسنها، وأشرح لك لطيف معانيها، وما قالت الأطباء فيها، وتفنن الشعراء في أوصافها، حتى ترمقها بعين الجلالة، وتلحظها بمقلة الصيانة، فقد قال أبوك الرشيد رضي الله عنه: " أحسن الفاكهة التفاح، اجتمع فيه الصفرة الدرية، والحمرة الخمرية، والشقرة الذهبية، وبياض الفضة ولون التبر، يلذ بها من الحواس: العين ببهجتها، والأنف بريحها، والفم بطعمها" وقال أرسطاطاليس الفيلوسف عند حضوره الوفاة، واجتمع إليه تلاميذه: " التمسوا لي تفاحة أعتصم بريحها، وأقضي وطري من النظر إليها" وقال إبراهيم بن هانئ: " ما علل المريض المبتلى، ولا سكنت حرارة الثكلى، ولا ردت شهوة الحبلى، ولا جمعت فكرة الحيران، ولا سكنت حقنة الغضبان، ولا تحبب الفتيان في بيوت القيان،

بمثل التفاح" والتفاحة يا أمير المؤمنين إن حملتها لو تؤذك، وإن رميت بها لم تؤلمك، وقد اجتمع فيها ألوان قوس قزح، من الخضرة والحمرة والصفرة، وقال فيها الشاعر:

حمرة التفاح مع خضرتــه أقرب الأشياء من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة واسقنهـــا بنشاط وفـــرح
ثم غنــني لكــي تطربنــي طرفك الفتـــان قلبي قد جرح

فإذا وصلت إليه يا أمير المؤنين فتناولها بيمينك، واصرف إليها بغيتك، وتأمل حسنها بطرفك، ولا تخدشها بظفرك، ولا تبعدها عن عينك، ولا تبذلها لخدمك، فإذا طال لبثها عندك، ومقامها بين يديك، وخفت أن يرميها الدهر بسهمه، ويقصدها بصرفه، فتذهب بهجتها، وتحيل نضرتها، فكلها.

"هنيئاً مريئاً غير داء مخامر" والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته"[1]

2.2 المرجعية التخاطبية

إن النظر في المرجعية التخاطبية يعيد فهم الخطاب فهماً صحيحاً؛ يهدي إلى الوصول إلى مراد المتكلم وقصده من الخطاب، ولكي يتحقق الفهم يجب أن تكون هناك كفاية تخاطبية التي تعرف بأنها "القدرة على الجمع بين مواضعات لغة معينة مع متطلبات المنطق اللغوي ومبادئ التخاطب ولا يمكن لأي متخاطب أن يستعمل اللغة دون أن يمتلك هذه الكفاية"[2]، وتتضمن المرجعية التخاطبية الآتي:

1.2.2 المواضعة

لتحقيق الكفاية التخاطبية لابد من أن تكون هناك مواضعة بين منتج الخطاب ومتلقيه، وذلك حتى تتم عملية التخاطب على أتم وجه، والمواضعة تشمل جميع مستويات اللغة (الصوتية، والصرفية، والتركيبية،والمعجمية، والدلالية)، ولو تحدث المتكلم بما لم يُتواضع عليه في أي مستوى من مستويات اللغة لأخل ذلك عملية التواصل، وفي الخطاب النموذج خاطبت الجارية الخليفة المأمون باللغة العربية ولم تختر أي لغة أخرى كالفارسية مثلاً، كما أنها لم تأتي بألفاظ غريبة

الاستعمال أو شاذة، بل كانت الألفاظ في الخطاب واضحة وضوح يليق بالمقام الذي كتب من أجله الخطاب.

2،2،2 مبادئ التخاطب

مبادئ التخاطب وقد يطلق عليها مبادئ التعاون التخاطبي التي تسهل عملية التخاطب، وهي كالآتي:

أ- **مبدأ الكم Maxim of quantity:** لا يمكن تحديد الكم المناسب لخطاب كهذا تحديداً دقيقاً، ولكن يمكن القول أن الخطاب قد جاء على قدر الحاجة، ولم يكن هناك إطناب ممل مبالغ فيه أو إيجاز مخل، فقد جاء الخطاب قصيراً نوعاً ما ويناسب المقام الذي كتب من أهله وهو بيان فضل الهدية التي جاء مصحوباً بها.

ب- **مبدأ الكيف Maxim of quality:** لتحقق مبدأ الكيف لا بد من التزام الصدق في الكلام واجتناب الذي يلزم الإتيان بدليل صدقه[3]، فإذا قال المتكلم كلاماً اعتراه الكذب لاختلت مبادئ التخاطب ولانصرف ذهن المتلقي عن سماع مزيد من الأكاذيب، وقد لا ينصت إلى ما تبقى من الخطاب لانغراقه في التفكير بتلك الكذبة، وقد تحقق ذلك المبدأ في خطاب الجارية عندما ذكرت مزايا فاكهة التفاحة دون اللجوء إلى الكذب أو وضع في التفاح ما ليس فيه، بل إنها عند اتيانها بمقولة تعزز كلامها التزمت بذكر قائل العبارة حتى تجتنب ما يعوز فيه دليل بين، وذكرها للنص كما ورد دليل على مراعاتها ذلك الجانب.

ج- **مبدأ الأسلوبMaxim of manner:** لتحقيق مبدأ الأسلوب وجب الالتزام بالآتي:[4]

- **تجنب إبهام التعبير**: وذلك بأن لا تكون هناك عبارات مبهمة لا تفهم، وهذا ما تحقق في الخطاب النموذج الذي جاءت فيه العبارات واضحة غير مبهمة.
- **تجنب اللبس:** أن يكون المتكلم على وعي بألا يوقع المتلقي في حيرة تجاه الخطاب، وعلى سبيل المثال لو أن الجارية ضمنت في خطابها مقولة تذم التفاح وتذكر مساوئه لوقع اللبس الذي يخل في مبدأ من مبادئ التخاطب.
- **أوجز كلامك (تجنب الإطناب الزائد):** أن تكون العبارات مناسبة الكم، وهذا ما نراه في الخطاب النموذج الذي لم تطل فيه الجارية عامة، ولم تطل في أجزاءه خاصة، فقد جاءت المقدمة مناسبة من غير إسهاب، وصلب الموضوع كان موافقاً لتحقيق الغرض، كما أنها ختمت بما يتلاءم مع المقام.
- **ليكن كلامك مرتباً:** يجب أن يتكون الخطاب من مقدمة وصلب الموضوع وخاتمة، وهذا ما تحقق كما ذكرنا أن الجارية قد بدأت في مقدمة مهدت لموضوع الخطاب وانتقلت منها إلى صلب الموضوع بسلاسة تامة، وأنهت خطابها بدعاء وتحية، فلم يكن هناك فوضى في ترتيب محتوى الرسالة.

د- **مبدأ المناسبة Maxim of relation:** يتحقق هذا المبدأ عندما يكون الكلام مناسباً لسياق الحال[5]، وهذا ما نرى تحققه في الخطاب، فقد جاء الكلام مناسباً للمقام الذي ذكر فيه، فهذا الخطاب موجه لخليفة وليس أي خليفة ولكن المأمون الذي عرف بمحبته للعلوم والمعرفة، وقد أصابت الجارية عندما أوردت مقولات لعلماء وأدباء تعزز من فكرتها، حتى أنها بدأت تلك المقولات بمقولة لأبية هارون الرشيد في مدح التفاح وقد كان المأمون يحب أباه حباً شديداً، ولو أنها جاءت بمقولة لأبيه عن موضوع آخر لاختل مبدأ المناسبة وبطل التعاون التخاطبي.

هـ- **التأدب**: لإتمام عملية التواصل بما يرضى المتكلم ويحقق غرضه لابد من أن يلتزم الأدب، فإذا قلل من شأن مخاطبه فسيهدم كل ما بناه ليحقق مبادئ التخاطب، والخطاب النموذج كان موجهاً للخليفة حاكم المسلمين، فلزم التحلي بأقصى درجات التأدب، وقد تحقق ذلك في مواضع من الخطاب منها:

- تكرار كلمة " أمير المؤمنين" تكرر اللقب خمس مرات في الخطاب، حتى أن الجارية بدأت الخطاب به، وانتهت به أيضاً.
- عندما أوردت قولة لأبي المأمون هارون الرشيد قالت " أبوك الرشيد رضي الله عنه" وكانت يمكنها أن تقول الرشيد فقط، أو أباك فقط، ولكنها أوردت صلة القرابة ولقبه المحبب إليه وعبارة رضي الله عنه، وذلك من التأدب الذي يؤدي إلى تحقيق غايات الخطاب.

إذا كانت المرجعيات تكشف عن الواقع المحيط بالخطاب، ذلك المحيط المحكوم بظروف وملابسات خاصة لغوية واجتماعية وغيرها، تعين على فهم الغاية التي قيل الخطاب لأجلها، كما تساعد على الكشف عن المسالك التي سلكها منتج الخطاب في تحقيق تلك الغاية، وقد يسلك منتج الخطاب مسالك عدة منها المسلك: البياني والموقفي ومسلك السوق، وما سنفصل بذكره في تحليل هذا الخطاب هو المسلك البنائي.

3,2 المسالك البنائي

المسالك البنائية هي المسالك التي تعنى ببناء الجملة وبناء النص، وتتضمن هذه المسالك نوعان: وهما المسالك النظمية المتمثلة في مستوى الجملة ونظمها وما يتعلق بأفعال الكلام مثل الأمر والاستفهام والإخبار وغيرها. أما النوع الآخر فهو المسلك التأليفي التي تظهر في نص الخطاب كله، والمتمثلة في أنماط الخطاب الوصفي والاستدلالي والسردي والشرحي[6].

1,3,2 المسالك النظمية

تتعلق المسالك النظمية بـ"ضم عناصر الكلام بعضها إلى بعض وتعليق كل جزء من أجزاء الجملة بغيرها من الأجزاء ويشمل الرصف linearization والتموضع thematization والاستبدال substitution"[7]، وهي العناصر التي من خلالها يمكن الوصول إلى المسلك أو الآلية التي اتخذها منتج الخطاب في تطويعه للغة، حتى تكون اللغة بعناصرها ومركبتها أداة تعين على الوصول إلى الغاية من الخطاب.

الرصف:

يقصد بالرصف هو أن تكون العناصر اللغوية موضوعة خطياً مرتبة ترتيباً زمنياً، وأساس الرصف هو الإسناد الذي يعد المكون الأساسي للجملة، وتتكون علاقات تركيبية متعلقة بالإسناد الذي يعد أصلاً للتركيب، فيظهر العطف والبدل والتوكيد والنعت. فكل العناصر اللغوية تفرض قيوداً قواعدية ودلالية وسياقية بحكم قواعد الائتلاف المتعلقة باللغة، ومثال ذلك في اللغة العربية هو الإعراب.[8]

الاستبدال:

هو اختيار المتكلم للعبارات والألفاظ والطريقة التي يريد أن يجئ بها المعنى، وذلك من حيث " الدقة الدلالية والشحنات العاطفية التي تكتنف الكلمات ومدى إيحاءاتها، كما أن غايات الخطاب وأغراضه ترسم شكل التقاطع بين محور الاستبدال والائتلاف وتتحكم في توجه المتكلم نحو الذكر أو الحذف أو الإضمار أو الإظهار"[9] كما أن السياق وقواعد اللغة تجبر المتكلم على أن يختار ألفاظاً دون غيرها.

التموضع:

وهو أن يرتب الموضوع والمحمول وفقاً لأولويات التبئير، فقدم المتكلم بعض العناصر اللغوية على بعضها وفقاً لمقتضيات الوضع اللغوي، "ويتفاوت المتكلمون في إبراز قدراتهم على إحداث تغييرات موقعية واختيارات كمية وكيفية تحقق لهم أغراضهم بقدر ما يملكون من كفاية بلاغية وتخاطبية"[10]، وللغة خيارات نظمية تتيح للمتكلم أن يبرز ما يريد إبرازه تبعاً لغايته من الخطاب، من تلك الخيارات النظمية هي البناء للمجهول "وهو طريقة في النظم محكومة بالتبئير والعدول الكمي؛ أي أن المتكلم قد يستعمل البناء

للمجهول للتركيز على المفعول به الذي يصبح نائب فاعل بعد حذف الفاعل، ويرتبط العدول عن الأصل (وهو ذكر الفاعل) بمسوغات تخاطبية منها عدم تعلق فائدة بذكره أو الجهل به، أو الخوف منه أو الخوف عليه أو غير ذلك من الأسباب المتداولة في كتب النحو"[11]، ولا تقتصر الخيارات النظمية على البناء للمجهول بل يمكنه أن يختار من التراكيب اللغوية ما يشاء ليضعه من أولوياته.

إن من الخيارات النظمية التي يختارها المتكلم ليحدد أولوياته في الخطاب هي تقديم الخبر مثلاً، فعندما يُقال (ممنوع التدخين) فإن التركيز هنا على المنع وليس على التدخين لذلك تقدم الخبر على المبتدأ جوازاً، والبنية العميقة للجملة وأصلها أن يقال التدخين ممنوع ولكن منتج الخطاب أراد أن يلفت انتباه المستقبل إلى منع التدخين وهو غايته من خطابه.

إن من مهام النظم هو تحويل البنية العميقة إلى البنية السطحية، وعندما تُحول جمل الخطاب إلى البنية السطحية فإنها تجتمع مكونة الخطاب كله، ومنتج الخطاب يسلك مسلكاً في بناء خطابه حتى ترتب الفقرات والأفكار ترتيباً يساعده على تحقيق غاياته من الخطاب، وهذه المسالك تسمى المسالك التأليفية.

2،3،2 المسالك التأليفية

يقصد بالتأليف بناء النص، بجميع أحجامه كالرسالة والمسرحية والكتاب، ويتطلب هذا المسلك مهارة منطقية ومنهجية وتدريب على يتمكن منها منتج الخطاب، ومن الشروط الواجب توافرها حتى يتسم الخطاب بالبلاغة العالية والجودة الرفيعة والجمال هي:[12]

1- **التنظيم**: وهو بتقسيم النص وتفريعه، ويتفاوت ذلك بتفاوت حجم النصوص وأنواعها. فالكتب تقسم إلى أبواب وفصول ومباحث وفقرات، أما المقال فيقسم إلى فقرات تقسم إلى مقدمة ووسط وخاتمة، كل فقرة منها متضمن جملة مفتاحية، ويختلف التنظيم في السرد القصصي وغيرها.

2- **الاتساق والتماسك**: إن الاتساق هو "الترتيب الذي يأخذه النص في بنيته العميقة وهو يختلف باختلاف نوعه، فقد يكون الترتيب زمنياً ينتقل فيه الحدث من الأقدم إلى الأحدث، أو منطقياً تتسلسل فيه المقدمات لتقود إلى نتائج مناسبة أو غير ذلك، إذ ليس ثمة نمط حتمي خاص، بل الكاتب هو الذي يخلق المنطق الخاص بالنص اعتماداً على قدرته على رسم التمهيد المناسب للغرض المستهدف وعلى صوغ الكيفية التي ينتقل بها من المقدمات إلى النتائج"[13]، فلا توجد قاعدة ثابتة تنطبق على كل النصوص حتى يكون نصاً متسقاً.

أما التماسك فهو "الربط العضوي بين أجزاء النص على نحو تبدو فيه تلك الأجزاء متوقفة بعضها على بعض كالبنية الواحدة أو العضو الواحد، ويحدث عادة بوسائل لغوية خاصة كالضمائر وأسماء الإشارة وأدوات الربط والحذف والتكرار والإبدال، وقد يكون للقرائن الخارجية المصاحبة للنص تأثير في إحداث هذا التماسك وتعزيزه"[14]، فهو الاستعانة بالوسائل اللغوية التي تربط بين أجزاء النص.

لابد لمنتج النص أن يراعي عند إدراجه للجملة ما يسبقها وما يليها، حتى تكون العلاقة بين الجمل علاقة تماسك واتساق، وإذا خلا النص من الاتساق والتماسك والترابط المنطقي للعبارات فإن ذلك يزعج المرسل إليه ويشتت انتباهه ولن يستطيع المرسل تحقيق غايته من الخطاب، فلابد من تحقيق الاتساق والتماسك والتنظيم في تأليف النص، وقد يستعان بأحد المسالك النمطية في ذلك وهي السرد والوصف والشرح والاستدلال،[15] وما سنركز عليه في هذا البحث هو مسلك الوصف والاستدلال.

المسلك الوصفي:

قد يرى المرسل أن الوصف هو أبلغ طريقة في تحقيق غايته، والوصف نوعان، وصف موضوعي يظهر فيه الموصوف كما هو في الواقع ويستعمل عادة لأغراض علمية، ويُحرص فيه على الاستقصاء والموضوعية والدقة، والوصف الأدبي المتأثر بنظرة المرسل ورأيه

الخاص انطلاقاً من تجاربه ومشاعره، وتستخدم الوسائل البلاغية كالتجسيم والتشخيص والمحسنات البديعية[16].

إن الهدف من الوصف هو إبراز صفات الموصوف للتأثير في المرسل إليه وإثارة إعجابه بالشيء أو لغرض التنفير، فالوصف لا يكون بريئاً خالياً من النوايا والغايات، ولابد من أن يتناسب الوصف للغرض والغاية من الخطاب دون أن يكون هناك إطناب واستطراد يشبب المرسل إليه ويحول دون تماسك النص، ويرتبط الوصف عادة الإفصاح والتأثير، أما أغراضه متعددة تشمل التمييز و الذم أو المدح والهجاء أو الترغيب أو التنفير.[17]

الوصف له درجات ومراتب و"أبلغ أنواع الوصف وأكثره تأثيراً ما يلتقط الأثر الذي يتركه الموصوف في من حوله"[18] والوصف يؤدي إلى أن يترك حرية للمرسل إليه في أن يخلق بخياله تصور بحسب وصف المرسل، وكلما دُعّمت الأوصاف بالأدلة والبراهين استطاع أن يحقق غايته من الخطاب، والأدلة ترتبط بمسلك تأليفي آخر وهو مسلك الاستدلال.

مسلك الاستدلال:

هو أحد وسائل الإقناع التي يستخدمها المرسل في تحقيق غاياته وهو "نمط من الخطاب يرمي إلى حث المخاطب على القناعة بأمر ما بتقديم دعوى مدعومة بواحد أو أكثر من الأدلة والإحصائيات والأشكال التوضيحية وضرب والأمثلة والاستشهادات والتوجيه العاطفي"[19] ويتغير المسلك الاستدلالي تبعاً لأهداف المرسل، فإذا كانت الغاية هي "تسويغ فكرة فيلجأ حينئذ إلى التوجيه، وكذا فإن غاية التبرير تحتاج إلى ذكر المسوغات أو الأعذار، أما إذا كانت الغاية هي التفسير فيتوسل لها بالتعليل، كما أن التوضيح يحتاج إلى الشرح والتفصيل والتمثيل، وأما البرهنة المنطقية فتحتاج إلى اللغة الصورية الرمزية وقواعد المنطق الأرسطي"[20]، ولا ينقطع مسلك الاستدلال عن المسالك الأخرى، فقد يحتاج المرسل إلى التعريف أو الشرح أو الوصف أو السرد لغرض التوضيح.

إن المسلك الاستدلال والوصفي من أهم المسالك التأليفي بجانب السردي والشرحي، وهي المسالك التي يسلكها المرسل حتى يحقق غايته من انتاج الخطاب، فامتلاكه للكفاية التأليفية تتيح له أن يقوم بإنتاج نص متماسك ومتناسق ومنتظم، ولا يكون ذلك إلا بسلكه مسلكاً تأليفياً واحداً أو أكثر يتناسب وغايته من الخطاب.

تبين أن المسالك التأليفية هي المسالك المتعلقة ببنية الخطاب كاملة، أما النظمية فهي ما يتعلق ببناء الجملة، ولكن لا يمكن الفصل المطلق بين المسالك النظمية والتأليفية، فالجمل لا تكون بمعزلٍ عن النص بل هي التي تكونه، فالجمل بما تحتويها من عناصر لغوية وأساليب وتراكيب تختلف باختلاف موقعها من النص، فلا بد عند تحليل المسلك النظمي أن يوضع بعين الاعتبار موقع الجملة من النص، وهذا ما سيُبنى عليه تحليل المسلك النظمي في الجانب التطبيقي من البحث.

3. الجانب التطبيقي

إن النظر في المسالك البنائي في كتاب إحدى جواري المأمون إليه يقتضي النظر في المسالك النظمية أولاً المتضمنة للرصف والاستبدال والتموضع في حدود بناء الجمل فقط، والأساليب المستخدمة ودلالات التراكيب المختلفة ثم سينظر في المسالك التأليفية المتضمنة لمسلك الوصف ومسلك الاستدلال، وهما المسلكان الرئيسان اللذان استخدما في هذا الخطاب.

1.3 المسالك النظمية:

تتمثل المسالك النظمية في الرصف والاستبدال والتموضع، وكما سبق ذكره أن هذه الظواهر مرتبطة ببعضها ويؤثر بعضها على بعض، وبحكم هذا الارتباط لن ينظر إلى كل واحد من هذه الظواهر على حدة، ولكن سيقسم الخطاب إلى ثلاثة أقسام، كل قسم من هذه الأقسام حاولت منتجة الخطاب من خلال التموضع واختيارها لألفاظ وضمائر خاصة لتركز الضوء والاهتمام على شيء ترد أن تجذب اهتمام المرسل إليه له، وسيجيئ ذكر كل قسم من تلك الأقسام، وما هو موضوعه الرئيسي؟ وكيف استطاع المرسل بالمسلك النظمي أن يحقق غايته من الخطاب؟

إن النظر في المسالك يقتضي النظر فيما كان يجري لحظة انتاج الخطاب، فالمصاحبات المادية لانتاج الخطاب تساعد على النظر في المسلك المختار للدراسة، ففي هذا البحث كان النموذج التطبيقي وهو رسالة إحدى جواري المأمون إليه مصحوباً بهدية ولم تكن قيمة الهدية في ذاتها، ولكن القيمة كانت في الخطاب اللغوي (الرسالة) التي أرفقتها الجارية مع الهدية، محاولة إبراز قيمة الهدية.

بذلت الجارية جهداً واضحاً في الإقناع بقيمة الهدية، وبدأت رسالتها بالتشويق ثم الإقناع ثم التأثير، ومن خلال النظر في المسلك النظمي الذي سلكته الجارية يمكن الوصول إلى أنها كانت تريد أن تسلط النظر في بداية الرسالة إلى ذاتها عندما أرادت أن تشوق المرسل إليه في سماع ما تريد قوله، ثم ركزت على الهدية عندما أرادت الإقناع بقيمة الهدية، ثم ركزت على المرسل إليه حتى تترك الأثر فيه. وكل ذلك تم استنتاجه من خلال التراكيب اللغوية وطريقة المرسل في اختيار العناصر اللغوية المختلفة وهذا ما سنوضحه تفصيلاً عند تحليل كل قسم من أقسام الرسالة.

1.1.3 القسم الأول: التشويق التركيز على المرسل (الجارية)

"إني يا أمير المؤمنين لما رأيت تنافس .... وأشرح لها لطيف معانيها"

هذا هو القسم الأول التي بدأت به الجارية خطابها، وقد قسمت الرسالة إلى ثلاثة أقسام في كل قسم منها حاولت منتجة الخطاب باستخدام التراكيب والأساليب والعناصر اللغوية أن تترك انطباعاً وأثراً خاصاً في نفس المرسل إليه، أما هذا القسم فقد حاولت فيه أن تحقق رغبات فيها نفسها اتضحت من خلال لغتها كما سيرد ذكره:

أولاً: التركيز على المرسل (التموضع)

تكشف الأفعال والضمائر والإحالات التي استخدمتها منتجة الخطاب إلى أنها ترغب في تسليط الأضواء إلى نفسها، ويتضح ذلك من أول كلمة في الخطاب عندما ربطت ياء المتكلم بالحرف الناسخ إن الذي يفيد توكيد ما بعده، فكما قال الجرجاني "ثم إن الذي ينبغي أن يكون البناء، هو الذي دون في الكتب من أنها للتأكيد"[21]، فهي أرادت أن تأكد

ذاتها وتأكد خبر إن وهو جملة الشرط، ولتوالي الأفعال المتصلة بتاء المتكلم أو أن تكون هي الفاعل سواء إضماراً أو تصريحاً ما هي إلا دلالة على رغبة منتجة الخطاب في تسليط الضوء على نفسها، من تلك الأفعال:

(إني – رأيت – فكرت – أجد – فأهديت – أحببت – أن أعرب – أكشف – أشرح)

فمن خلال اللغة والإحالات حاولت منتجة الخطاب أن تضع أولويات في هذا القسم وهي أن تركز انتباه المرسل إليه إلى نفسها وعلى جهدها وتبريرها في اختيار هذه الهدية على وجه الخصوص، وإذا نظرنا إلى معاني الأفعال التي اختارتها تبين تمكنها من اللغة ذلك التمكن الذي خولها بأن تبرر اختيار هديتها تبرير منطقياً فهي رأت وفكرت فوجدت أي اختارت ثم رغبت بأن تكشف وتشرح.

ثانياً: تحقيق غرض التشويق

إن الغرض من الرسالة يتطلب أن تشد اهتمام المرسل إليه وتشوقه حتى ينهي رسالتها وتصل إلى غرضها، وقد استعانت منتجة الخطاب بعدد من الأساليب والتراكيب في تشويق المرسل إليه وشد انتباهه، منها:

- **التراكيب الطويلة :** يختار المتكلم أن يعرب عما في نفسه بتراكيب منوعة، تختلف في نوعها وكذلك طولها " فهناك الجمل الصغيرة، المختصرة، المكونة من مفردات، وهناك الجمل التي تطول إلى حد ما، بسبب كثرة تعلقاتها، وهناك جمل تطول أكثر لأنها تتكون من جمل، وقد تتكاثر الجمل الداخلة في تكوين الجملة، كأن تقع جملة خبراً وفيها فاعل أو مفعول أو جار مجرور، ثم يوصف هذا المفرد بجملة يقع فيها حال أو استثناء أو شرط"[22] وهذا ما نراه في أول جملة في الخطاب، فإن أول التراكيب المستخدمة هو إن واسمه وهو الضمير وخبره وهو الشرط فعله وجوابه (إني .. لما رأيت .. فكرت) وتضمن هذا التركيب عدد من المركبات وهي:
  1. مركب الإضافة (تنافس الرعية)
  2. مركبا الجر (في الهدايا) و (إليك)

3. مركب العطف (وتواتر)
4. مركب الإضافة (تواتر ألطافهم)
5. ومركب الجر (عليك)
6. مركب الجر (في هدية) المتعلقة بجواب الشرط
7. المركب الفعلي (تخف مؤنتها)
8. مركب العطف (وتهون)
9. المركب الفعلي (تهون كلفتها)
10. مركب العطف (ويعظم)
11. المركب الفعلي (يعظم خطرها)
12. مركب العطف (ويجل)
13. المركب الفعلي (يجل موقعها)

فقد تضمن هذا التركيب عدد من التراكيب مكونة تركيباً معقداً وطويلاً وكان الهدف من طول التراكيب هنا هو التشويق وإثارة الانتباه، وقد اتبعت منتجة الخطاب ذلك في القسم الأول من خطابها وما أوردناه هنا هو مثال على التراكيب الطويلة في القسم الأول من الرسالة.

- **أسلوب الشرط:** إن لأسلوب الشرط دلالات مختلفة، وقد استخدمت منتجة الخطاب الشرط في هذا القسم من الرسالة أسلوب الشرط بغرض التشويق وجذب الانتباه وكما ذكرنا في النقطة السابقة أن أسلوب الشرط هنا كان جواباً لإن أي أنها أكدت عليه، فتقول (لما رأيت تنافس الرعية في الهدايا إليك، وتواتر ألطافهم عليك، فكرت في هدية تخف مؤنتها، وتهون كلفتها، ويعظم خطرها، ويجل موقعها)، وقد اختارت الأداة لما لأنها تفيد الماضي وإلى زمن المتكلم [23]وهذا ما أرادت قوله أن الخليفة المأمون كان مغموراً بالهدايا سابقاً وإلى زمن الرسالة ولم تستخدم عندما

لأنها تدل على وقت حدوث الفعل ولم تستخدم حين لأنها تدل على السرعة في الحدث، وكان بإمكانها أن تستغني عن أسلوب الشرط فتقول (إن الرعية يتنافسون في الهدايا إليك وفكرت أن أهديك هدية ..) ولكنها استعانت به حتى تحقق غرض التشويق.

ثالثاً: أهمية الهدية

استعانت منتجة الخطاب بعدد من الأساليب اللغوية حتى تعبر عن أهمية الهدية منها:

- **وصف الهدية بالمركبات الفعلية بدلاً من الألفاظ المفردة (الاستبدال):** عندما أدارت أن تصف الهدية استبدلت الوصف المفرد بالمركبات الفعلية فقالت: (تخف مؤنتها، وتهون كلفتها، ويعظم خطرها، ويجل موقعها) وكان من الممكن أن تقول (خفيفة، رخيصة، قيمة، جليلة) ولكن آثرت المركبات الفعلية لما تحتوي من شحنات عاطفية، والفعل يدل دائماً على الاستمرار والتجدد فوجدت أن المركبات الفعلية أبلغ في التعبير عن مبتغاها من الاسم.
- **أسلوب النفي والاستثناء:** عندما أرادت أن تذكر الهدية التي اختارتها جاءت بذكرها بأسلوب الاستثناء (فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت، ويكمل فيه هذا الوصف، إلا التفاح) والنفي قبل الاستثناء يعزز من التشويق، فلو أنها قالت (فاخترت التفاح) لما كان وقعه كوقع الذي اختارت قوله، كما أنها بالإضافة إلى التشويق افترضت إنكار المرسل إليه أو شكه في قولها، وبنت خطابها رداً على هذا الشك، فيقول صاحب دلائل الإعجاز "وأما الخبر بالنفي والإثبات: ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: ما هو إلا مصيب، أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وإذا رأيت شخصًا من بعيد فقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجِدّ في الإنكار أن يكون كذلك"[24]

والاستثناء عموماً يعزز من قيمة المستثنى وهو من الأساليب اللغوية التي استعانت بها منتجة الخطاب لبيان أهمية هديتها.

2،1،3 القسم الثاني: الإقناع التركيز على الهدية (التفاحة)

"وما قالت الأطباء فيها .... طرفك الفتان قلبي قد جرح"

إن هذا القسم من الرسالة هو قسم الإقناع، الذي أوردت منتجة الخطاب جملة من الأدلة والاستشهادات التي تعزز من رأيها وتبرز قيمة هديتها، فكان موضوع هذا القسم متمحور على الهدية، وقد فصلت منتجة الخطاب بين القسم الأول الذي كانت هي محوره والقسم الثاني الذي أصبحت التفاحة فيه محوراً بمركبين اثنين وهما

(وما قالت الأطباء فيها، وتفنن الشعراء في أوصافها)

ركزت في هاتين الجملتين على المصدر الذي ارتضته ليكون دليلاً على قولها وهم الأطباء والشعراء، ثم انتقلت الأهمية إلى التفاحة ومن أمثلة تركيزها على الهدية هي كثرت الضمائر العائدة على الهدية التي تكون في محل فاعل أو غيره، والضمائر هي:

(فيها، أوصافها، ترمقها، تلحظها، والتفاحة، حملتها، رميت بها، اجتمع فيها، قال فيها)

أسلوب الشرط:

أوردت منتجة الخطاب أسلوب الشرط في هذا القسم بقولها (والتفاحة يا أمير المؤمنين إن حملتها لم تؤذك وإن رميت بها لو تؤلمك) وقد قدمت كلمة (التفاحة) قبل أسلوب الشرط حتى تلفت النظر إليها وتعظم من شأنها ولو أنها قالت (إن حملت التفاحة لم تؤذك) لكان تركيز المرسل على الحمل لأنه الفعل وهو أسبق في الذكر من الفاعل، ولكنها أبت إلا أن تضع كلمة التفاحة سابقة لأسلوب الشرط حتى تركز عليها وتعطيها قيمتها وتنبه إليها فيقول الجرجاني " تقديم ذكر المحدَّث عنه يفيد التنبيه له"[25]، والأصل في الحرف (إن) عدم الجزم بوقوع الشرط[26] فلا يمكنها أن تجزم أن الخليفة المأمون سيحمل التفاحة كما أنها لا تجزم أنه سيرميها، وقد ذكرت الفعل المضارع هنا لعدم دلالته على الوقوع قطعاً[27]، كما أنه كان بإمكانها الاستغناء أيضاً عن أسلوب الشرط والاكتفاء

بقولها (التفاحة لا تؤذي في حملها ولا تؤلم عند رميها) ولكنها استخدمت أسلوب الشرط بغرض الإقناع والتأثير.

3،1،3 القسم الثالث: التوجيه والتأثير التركيز على المرسل إليه (الخليفة المأمون)

"فإذا وصلت إليك يا أمير المؤمنين .... والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته."

رغبت منتجة الخطاب أن تنهيه بتركيزها على المرسل إليه وهو الخليفة المأمون، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تكرار مناداتها له مرتين في هذا القسم فقط من الرسالة بالإضافة إلى عباراتها والضمائر المستخدمة مثل:

(وصلت إليك، فتناولها، يمينك، اصرف إليها، بغيتك، تأمل، طرفك، تخدشها، ظفرك، تبعدها، عينك، تذلها، خدمك، عندك، يديك، خفت، فكلها)

ولم تكتفي باستخدام الضمائر والألفاظ لتركيزها على المرسل إليه ولفت انتباهه ولكنها استعانت ببعض الأساليب منها أسلوب الشرط (إذا وصلت إليك فتناولها بيمينك) ولم تكتفي بالشرط وجوابه ولكنها عطفت عدد من الجمل على جواب الشرط وهي:

(واصرف إليها بغيتك، وتأمل حسنها بطرفك، ولا تخدشها بظفرك، ولا تبعدها عن عينك ،ولا تبذلها لخدمك)

وقد استخدمت (إذا) والأصل فيها "هو أن تستعمل في المعنى الذي يجزم بوقوعه أو يغلب على رأيه"[28]، فأرادت بجزمها أن تبين ثقتها في إقناع المأمون وأنه سيأخذ برأيها وسيقتنع بكلامها، ونلاحظ أنها في جواب الشرط والجمل المعطوفة عليه استخدمت أسلوب التحذير والإغراء وهما فرع من فروع أسلوب الأمر والنهي[29]، يمكن القول أن أسلوب الأمر له تأثير كبير على المرسل إليه حتى أنه صار من الأساليب المتبعة في الإعلانات وذلك لجذب المشتري والتأثير فيه وإيحاءه بحاجته للمنتج، واتبعت أسلوب الشرط بأسلوب شرط يليه مباشرة فقالت:

(فإذا طال لبثها عندك، ومقامها بين يديك، وخفت أن يرميها الدهر بسهمه، ويقصدها بصرفه، فتذهب بهجتها، وتحيل نضرتها، فكلها)

والفرق بين أسلوب الشرط الأول والثاني أنها في الأول لم تفصل فصلاً كبيراً بين فعل الشرط وجوابه، فكان الفاصل الوحيد هي أسلوب النداء (يا أمير المؤمنين) أما في الثاني فقد أخرت جواب الشرط ووضعت بينه وبين الفعل مركبات كثيرة وكان العطف على فعل الشرط وليس جواب الشرط. ولعلها لم ترد أن تكرر أسلوب الشرط بنفس النمط في مرتين متتاليتان حتى لا يحدث الملل في السامع، فالغرض من أسلوب الشرط في كل الأحوال التأثير في المرسل إليه وتوجيهه، وقد ختمت هذا الجزء بالسلام على الخليفة والدعاء له.

هذا ما اشتمله القسم الثالث من الرسالة، وهناك بعض الأمور التي اطرد تكرارها في الرسالة كاملة ولم يتميز بها جزء دون غيره كالآتي:

1- **أسلوب النداء**: الذي تكرر تعظيماً للخليفة المأمون واحترامه، فقد تكرر أسلوب النداء بصيغة (يا أمير المؤمنين) خمس مرات في الرسالة كلها، وذلك دلالة على الاحترام والتقدير لكي يتحقق أحد أصول التعاون التخاطبي وهو التأدب.

2- **الإطناب**: لم تختصر منتجة الخطاب في عباراتها، وكان الكلام زائداً عن المعنى، فعلى سبيل المثال كانت بإمكانها أن تستبدل القسم بالأول من الرسالة بأن تقول: (رأيت الرعية يتنافسون في الهدايا إليك ففكرت في هدية مناسبة واخترت التفاح)، ولكنها اختارت الإطناب الذي قيل فيه "المنطق إنما هو البيان والبيان لا يكون إلا بالإشباع والشفاء لا يقع إلا بالإقناع وأفضل الكلام أبينه وأبينه أشده إحاطة بالمعاني ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء"[30] فإذا كانت الألفاظ بقدر المعنى لن تستطيع أن تؤثر الجارية في الخليفة المأمون، ولكنها بالإطناب والإطالة استطاعت أن توصل للخليفة المأمون خطابها فقيل أبي العلاء المعري "هل كانت العرب تطيل؟ قال نعم كانت تطيل ليسمع منها وتوجز ليحفظ عنها"[31]، فبراعتها في توظيف اللغة جعلت خطابها يسمع ويدون في الكتب ويحفظه التاريخ.

نرى أن منتجة الخطاب في المسلك النظمي حاولت الاستعانة بعدد من الأساليب البلاغية، وكانت لها طريقة في نظم العناصر اللغوية نظماً يعينها على أن تصل إلى غايتها، وكما نظرنا إلى المسالك النظمية وجب النظر في القسم الثاني من أقسام المسالك البنائية وهي المسالك التأليفي التي تعنى بالنص كله وترابطه وتماسكه.

2.3 المسالك التأليفية

إن المسالك التأليفية هي المسالك التي تعنى بالنص كاملاً، وكما ذُكر سابقاً أن الخطاب وجب أن يتسم بسمتين تأليفيتين وهما التنظيم والاتساق والتماسك، ويمكن ملاحظة هاتين السمتين في النص النموذج الذي كان منظماً ومقسماً تقسيماً منطقياً، والأفكار متسلسلة تسلسلاً يخدم الغرض المرسل منه، ونرى ذلك في الرسالة التي قد قسمت إلى ثلاثة أقسام كما ذكرنا آنفاً ولكل قسم ميزته فكان هناك ربط عضوي بين العناصر اللغوية في كل قسم، وهناك نوعان من المسالك التأليفية استعانت بهما منتجة الخطاب لتحقق غايتها وهما:

1،2،3 مسلك الوصف

كان الخطاب مصحوباً بهدية وهي التفاحة، وأرادت منتجة الخطاب أن تعلي من قيمة تلك الهدية وذلك بأن تصفها وتظهر محاسنها، وقد أوردت جملة من الأوصاف في التفاحة منها ما قالته على لسانها، ومنها ما كان استشهاداً من أقوال غيرها، فتقول:

(فكرت في هدية تخف مؤنتها، وتهون كلفتها، ويعظم خطرها، ويجل موقعها، فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت، ويكمل فيه هذا الوصف، إلا التفاح)

فنجد أنها وصفت الهدية بأنها خفيفة، وزهيدة، ورفيعة القدر، وقد صرحت بأنها تريد أن تسلك المسلك الوصفي في هذه الرسالة عندما قالت:

(وأحببت يا أمير المؤمنين أن أعرب لك عن فضلها، وأكشف لك عن محاسنها، وأشرح لها لطيف معانيها)

فالكشف عن المحاسن وشرح لطيف المعاني، ما هو إلا وصف الهدية، ثم أتبعت كلامها بوصف للتفاح على لسان الخليفة هارون الرشيد فيقول:

1- "اجتمع فيه "يقصد التفاح" الصفرة الدرية والحمرة الخمرية والشقرة الذهبية وبياض الفضة ولون التبر يلذ بها الحواس".
2- " ما علل المريض المبتلى، ولا سكنت حرارة الثكلى، ولا ردت شهوة الحبلى، ولا جمعت فكرة الحيوان، ولا سكنت حقنى الغضبان ولا تحبب الفتيان في بيوت القيان بمثل التفاح"
3- إن حملتها لم تؤذك.
4- إن رميت بها لم تؤلمك.
5- اجتمع فيها ألوان قوس قزح من الخضرة والحمرة والصفرة.
6- حمرة التفاح مع خضرته أقرب الأشياء من قوس قزح
7- تأمل حسنها

فقد بذلت في وصف التفاح وصفاً حسياً تصف فيه لونها ووزنها وما تفعله في آكلها، والوصف له أغراض مختلفة مثل التمييز أو الذم أو الهجاء أو التقبيح أو الترهيب أو التنفير، وغرضه العام هو التأثير في المخاطب وإثارة إعجابه، وقد صرحت منتجة الخطاب بغرض الوصف وهو الترغيب فقالت:

(حتى ترمقها بعين الجلالة، وتلحظها بمقلة الصيانة)

2.2.3 مسلك الاستدلال

تحتم حكم الخليفة المأمون بقعة كبيرة من الأرض أن يغمر بالهدايا من قاصي الدنيا ودانيها، فكانت تحضره هدايا غالية الثمن من أشخاص اختلف مقامهم وظروفهم، فأرادت منتجة الخطاب أن تتميز عنهم بإهدائها الخليفة المأمون هدية تعجبه وتؤثر فيه،

فاختارت أن تهديه تفاحة ولم تكتف بذلك بل أصحبتها بخطاب حاولت من خلاله إقناع المأمون بقيمة تلك الهدية، فاستعانت بمسلك الاستدلال.

إن الهدف من استخدام هذا المسلك كما ذكرنا مسبقاً هو إقناع المرسل إليه بتقديم دعوى مدعمة بالأدلة، ومن الأدلة التي استعانت بها منتجة الخطاب وهي الاستشهادات وقد صرحت بذلك في قولها:

(وما قالت الأطباء فيها، وتفنن الشعراء في أوصافها)

وبدأت استشهادها بقول أحب الناس إلى الخليفة المأمون وهو أبوه الخليفة هارون الرشيد ، وقد أوردت اسمه قبل الاستشهاد لمعرفتها بحبه لأبيه وتأثير كلامه عليه، فلن يخالف أباه بل سيكون الإيجاب والقبول ديدنه طوال الخطاب، ثم تلت استشهادها بذكر استشهادٍ لأرسطو وقد كان لأرسطو قدراً كبيراً عند المأمون حتى أنه رأه في المنام مرة، فلابد أن يترك كلامه أثراً في نفسه، وانهت استشهادها بكلام إبراهيم بن هانئ ثم شاعر لم تذكر اسمه وقد ذكرت أسماء من استشهدت بهم لأن أهميتهم تفوق أهمية كلامهم أما الشاعر فأهمية كلامه تفوق أهميته.

3.3 الغاية والغرض والقصد

إن المرء لا يقدم على أمر، ولا يقول كلمة، إلا لغاية في نفسه، والخطاب من الأمور التي يقولها المرء أو يكتبها، ولا يقولها إلا لغاية أيضاً، وقد عرفت الغاية من الخطاب بأنها" كل مصلحة وحكمة تترتب على فعل الفاعل تسمى غاية من حيث إنها طرف الفعل ونهايته وتسمى فائدة أيضاً من حيث ترتبها عليه"[32] والغايات الخطابية كثيرة من أهمها: "الإبلاغ والطلب والتعلم والتعليم والإفصاح والتفسير والتأثير والإقناع والإمتاع والتواصل"[33] ، وترتبط فكرة الغايات الخطابية بأسباب استعمال اللغة، فلا مناص من الحديث عن وظائف اللغة في الحديث عن غايات الخطاب.

أما الغرض من الخطاب فهو الهدف ويقال بأنه " الأمر الذي يجري إليه الفاعل ويقصده ويفعله"[34]، والأغراض علل قصدية التي تختلف عن الغايات والمقاصد، ووجه

الاختلاف بينهم هو أن "الغايات تتسم بالعموم والتجريد والكلية، وأما الأغراض فهي متوسطة في ذلك بين الغايات والمقاصد التي تتسم بالجزيئة والحسية والآنية"[35] ومن أغراض التخاطب الإعلام والذم والهجاء والمدح والغزل والرثاء والفخر وغيرها الكثير.[36]

وبناءً على ما سبق ذكره يمكن تلخيص القصد والغرض والغاية من خطاب جارية المأمون إليه كالآتي:

- **المقصد**: إظهار قدراتها أمام الخليفة المأمون.
- **الغرض**: إقناع المأمون بقوتها الكلامية وقدراتها البلاغية.
- **الغاية**: إبهار الخليفة المأمون ولفت انتباهه وتأثره وتقريبه إليها.

وكما ذكرنا في الحديث عن المسالك وتحديداً المسلك البنائي حاولت منتجة الخطاب أن تصل إلى غايتها منه باستخدام أكثر الوسائل والأساليب المحببة لدى المأمون، الذي عرفت بحبه للأدب والفصاحة فحدثته بأسلوب بليغ، وبحبه لأبيه وجاءت بكلام أبيه وبجلته في خطابها، وحبه المعروف للفلاسفة والعلماء خاصة أرسطو فاستشهدت بكلامه، كما أنها برعت في استعمال الأساليب اللغوية في تحقيق غايتها وهي إبهار المأمون وإقناعه.

2- الملخص :

تحمل الخطابات المختلفة في طياتها معانٍ جمة، لا يمكن الكشف عنها كلها بقراءة الخطاب فحسب، بل وجب التعمق فيه وتحليله باستخدام الأدوات العلمية والنظريات الحديثة لتحليل الخطاب، تهدف هذه المقالة البحثية إلى تحليل إحدى الخطابات التي قلما يتناولها الباحثون بالنظر والتحليل، وهي خطاب إحدى جواري المأمون إليه، استعانة بنظرية المسالك والغايات، وسيحلل في الخطاب مسلكه البنائي بغية معرفة إذا ما كانت القدرات اللغوية لمنتجة الخطاب ساعدت في تحقيق غايتها منه، وتستلزم نظرية المسالك والغايات النظر في مرجعيات الخطاب التي تؤثر على انتاجه وتحليله، فسيُنظر في إحداها وهي المرجعية التخاطبية، مروراً بالمسالك البنائية المكونة من شقين وهما المسلك النظمي المرتبط بتراكيب الجمل، والمسلك التأليفي المرتبط بهيكلة الخطاب كله، وأخيراً ستُختتم المقالة بالنظر

في الغاية والغرض والمقصد من الخطاب، يُفترض أن منتجة الخطاب استطاعت تطويع اللغة وأدواتها المختلفة حتى تحقق الغاية من الخطاب.

الكلمات المفتاحية:
تحليل الخطاب – نظرية المسالك والغايات – المسلك البنائي – المأمون – رسالة – جارية – العصر العباسي

3- العرض:

يحلل البحث المسلك البنائي في أحد خطابات جواري المأمون إليه بالاستعانة بنظرية المسالك والغايات، من خلال النظر في المرجعية التخاطبية المكونة من مبادئ التخاطب وهي: الكم والكيف والأسلوب والمناسبة، وتم النظر في كل مبدأ من هذه المبادئ بالإضافة إلى المواضعة التي تعد ضمن المرجعية التخاطبية، بعد ذلك طرحت المسالك البنائي المكونة من شقين وهما المسلك النظمي الخاص بالجمل وتراكيبها وذلك بالنظر في كل من: التموضع والرصف والاستبدال، والمسلك التأليفي الخاص بهيكلة الخاطب كله فينظر في تنظيم الخطاب كله وتماسكه، ووجدنا أن منتجة الخطاب باستعمال المسلك البنائي والأدوات اللغوية قسمت الخطاب إلى ثلاثة أقسام القسم الأول هو قسم التشويق لشد الانتباه والقسم الثاني هو قسم الإقناع والقسم الثالث هو قسم التوجيه والتأثر في كل قسم استخدمت أساليب خاصة كأسلوب النداء والشرط وحاولت في كل قسم تحقيق غرض معين حتى تصل إلى الغاية الأساسية من الخطاب كله.

4- خاتمة:

إن الهدف من هذا البحث هو دراسة خطاب جارية المأمون إليه وتحليله وفقاً لنظرية المسالك والغايات، وقد اختير المسلك البنائي تحديداً للكشف عن الطريقة التي اتخذتها منتجة الخطاب في تحقيق غايتها عن طريق البناء اللغوي للخطاب، ونظر إلى الغاية التي من أجلها كتب الخطاب، وقد انتهى هذا البحث إلى عدد من النتائج أهمها:

1- تساعد نظرية المسالك والغايات على فهم الخطاب فهماً شاملاً انطلاقات من المرجعيات وانتهاءً بالغاية منه.

2- النظر في المسالك البنائية يعين على فهم الغاية من الخطاب ويكشف عن خبايا منتج الخطاب التي يخفيها في نفسه.

3- وظفت منتجة الخطاب أدوات وعناصر لغوية لتحقيق غرض التشويق في بداية الرسالة لشد انتباه المرسل إليه مثل التراكيب الطويلة وأسلوب الشرط.

4- تنوعت الأساليب والوسائل اللغوية كل لأغراض مختلفة وجميع تلك الأغراض انصبت لتحقق الغرض الأساسي من الخطاب، من تلك الأساليب: النداء، الشرط، النهي، الأمر، الاستثناء.

5- سلكت منتجة الخطاب المسلكين التأليفين الوصفي والاستدلالي لتحقيق غايتها من الخطاب.

6- كان القصد من الخطاب: إظهار قدراتها أمام الخليفة، أما الغرض منه فهو: إقناع الخليفة المأمون بقوتها الكلامية وقدراتها البلاغية، وكانت غايتها في كتابته هي: إبهار الخليفة المأمون ولفت انتباهه وذلك لتؤثر به وتقربها منه.

ويمكن الوصول إلى أن نظرية المسالك والغايات من النظريات التي تعين الباحث على تحليل الخطاب تحليلاً يحيط بالخطاب من كل جوانبه، بدءاً من مرجعيات الخطاب التي تؤثر في بنائه وفهمه، مروراً بالمسالك المختلفة التي يسلكها منتج الخطاب في انتاج خطابه، انتهاءً بمرادات الخطاب التي تؤثر في مسالكه. .

5.قائمة المراجع:

1. أبوموسى،محمد.(1987).**دلالة التراكيب**:دراسة بلاغية،القاهرة:مكتبة وهبه.
2. الجرجاني،عبدالقاهر.(2008).**دلائل الإعجاز**،القاهرة:مكتبة الخانجي مطبعة المدني.
3. الجناحي،حسن.(1983).**النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق**،القاهرة:دار الطباعة المحمدية.
4. الدمشي،عبدالرحمن.(1996).**البلاغة العربية**، دمشق:دار القلم.
5. صفوت،أحمد.(1971).**جمهرة رسائل العرب**،ج4،القاهرة:شركة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر.
6. العسكري،أبوهلال.(1419ه).**الصناعتين**،بيروت:المكتبة العنصرية.
7. علي،محمد.(2004).**مدخل إلى اللسانيات**.بيروت:دار الكتاب الجديد.
8. علي،محمد.(2016).**تحليل الخطاب وتجاوز المعنى:نحو بناء نظرية المسالك والغايات**.عمان:دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

9. الكافي،أحمد.(2003).**عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**،بيروت:المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

6. الهوامش:

[1] صفوت،أحمد.(1971).جمهرة رسائل العرب،ج4،القاهرة:شركة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر،ص444

[2] المرجع نفسه،ص38

[3] علي،محمد.(2004).مدخل إلى اللسانيات.بيروت:دار الكتاب الجديد،ص99

[4] المرجع نفسه،ص100

[5] المرجع نفسه،ص100

[6] علي،محمد.(2016).المرجع السابق.ص106

[7] المرجع نفسه،ص106

[8] المرجع نفسه،ص107

[9] المرجع نفسه،ص109

[10] المرجع نفسه،ص108

[11] المرجع نفسه،ص110

[12] المرجع نفسه،ص117

[13] المرجع نفسه،ص119

[14] المرجع نفسه،ص119

[15] المرجع نفسه،ص119-120

[16] المرجع نفسه،ص124

[17] المرجع نفسه،ص128

[18] المرجع نفسه،ص129

[19] المرجع نفسه،ص130

[20] المرجع نفسه،ص132

[21] الجرجاني،عبدالقاهر.(2008).دلائل الإعجاز،القاهرة:مكتبة الخانجي مطبعة المدني،ص325

[22] أبوموسى،محمد.(1987).دلالة التراكيب:دراسة بلاغية،القاهرة:مكتبة وهبه،ص290

[23] الكافي،أحمد.(2003).عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح،بيروت:المكتبة العصرية للطباعة والنشر،ص337

[24] الجرجاني،عبدالقاهر.(2008).المرجع نفسه،ص332

[25] الجرجاني،عبدالقاهر.(2008).المرجع السابق،ص131

[26] الكافي،أحمد.(2003).المرجع السابق،ص323

[27] الجناحي،حسن.(1983).النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق،القاهرة:دار الطباعة المحمدية،ص406

[28] الجناحي،حسن.(1983).المرجع السابق،ص406

[29] الدمشي،عبدالرحمن.(1996).البلاغة العربية، دمشق:دار القلم،ص239

[30] العسكري،أبوهلال.(1419ه).الصناعتين،بيروت:المكتبة العنصرية،ص190

[31] المرجع نفسه،ص192

[32] علي،محمد.(2016).المرجع السابق،ص81-82

[33] المرجع نفسه،ص82

[34] المرجع نفسه،ص83

[35] المرجع نفسه،ص85

[36] المرجع نفسه،ص85